دور القادة الأكاديميين
فى نشر ثقافة السلام ومواجهة الإرهاب

الأستاذ الدكتور / نبيل السمالوطى

العميد الأسبق لكلية الدراسات الإنسانية

والأستاذ بجامعة الأزهر وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

مصر

مقدمـــة:

العلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا دينارًا أو درهمًا بل ورثوا العلم؛ فمن أخذ به أخذ بحظ وافر، والقادة الأكاديميون هم العلماء الذين درسوا دراسات نظامية من خلال جامعات أو معاهد معتمدة، والذين درسوا العلوم المتخصصة على أيدى علماء وأساتذة مشهود لهم، والأكاديميون يهتمون بالتوثيق والتواصل مع جميع مصادر المعرفة، ولا يقرون إلا ما كان موثقًا بالأدلة والبراهين، وهم يهتمون بالبحث العلمى للوصول إلى الحقائق والنظريات والقوانين، وهم يستخدمون مناهج علمية سواء المناهج الاستقرائية أو الاستنباطية، أو مناهج الرجوع للأصول، سواء النصوص أو الآثار التاريخية، حسب طبيعة كل علم من العلوم.

والمشتغلون بعلوم الشريعة والعلوم الاجتماعية والإنسانية اتفقوا على أن الإسلام هو أول دين ينشر ثقافة السلام والأمن والأمان، ثقافة حقوق الإنسان دون تمييز على أساس الـــدين أو العـــرق أو اللون، دين يقر الكرامة والحريات لكل الناس دون تمييز، فالإسلام هو أول دين يؤكد على مبدأ المواطنة وحق العيش الكريم لكل الناس دون تمييز .

السلام قيمة كبيرة فى الإسلام:

الإسلام ينبذ كل أشكال العنف والتطرف والإرهاب والترويع، والإسلام هو أول من أرسى حضارة العمارة الشاملة، حضارة البناء والعمران، حضارة إعلاء قيمة الإنسان وتحسين نوعية حياته، حضارة تؤكد ضرورة استمتاعه بالطيبات من الرزق، وتؤكد أن الإنسان خلق لأداء رسالة سامية هى: العبادة بمفهومها الواسع، والخلافة فى الأرض، والتنمية الشاملة، وتحقيق العدل والمساواة والحق.

وعلماء الإسلام يؤكدون أن الإسلام دين السلام والتسامح والعفو والرحمة، ويكفى أن الله سبحانه وتعالى لخص الإسلام بقوله تعالى:﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ** ﴾ رحمة لكل الخلق من إنس وجن وحيوان ونبات وجماد وعوالم نعرفها ولا نعرفها.

والقرآن الكريم يؤكد فى العديد من آياته الكريمة أنه دين السلام، فالمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأعراضهم وأنفسهم، يقول تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ** ﴾[1]، ويقول تعالى : ﴿ **وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا** ﴾[2]، وفى إفشاء السلام مع غير المسلمين والإحسان إليهم والعدل معهم، قال تعالى: ﴿ **لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ** ﴾[3].

والسنة المطهرة تؤكد على إفشاء السلام وأهمية أن يعيش كل مواطن على أرض المجتمع المسلم متمتعًا بالسلام والأمن والاطمئنان، فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن الرسولﷺ أنه قال: «**المسلم من سلم الناس من لسانه و يده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم و أموالهم**»[4]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم**

(١) البقرة: ٢٠٨.

(٢) الفرقان:٦٣.

(٣) الممتحنة:٨.

(٤) سنن النسائى .

على شيء إذا فعلتموه تحاببتم : أفشوا السلام بينكم»[١]، و قد أرسى رسول الله ﷺ فى خطبة الوداع أهم حقوق الإنسان فى الأمن والسلام والمحبة وحرمة الدماء والأعراض والأموال؛ حيث قال: «**إن دماءكم و أموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا وكحرمة بلدكم هذا**» [٢].

وأول ما قاله وأرساه رسول الله ﷺ عند بناء أول دولة إسلامية، هو: السلام الشامل، وهذا ما رواه زرارة بن أوفى عن ابن سلام، قال: أول شيء سمعته من الرسول فى المدينة المنورة: «**أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**» [٣]، والسلام اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى، ولا إيمان ولا عبادة من دون سلام، ولا يمكن قيام مجتمع دون سلام، أو أمن دون توافر الطعام، ولا يمكن للناس التفرغ للعبادة والعلم والإنتاج والتنمية وعمارة الأرض- وكلها فرائض- دون أمن وسلام، ودون أمن مادي، وأمن نفسى، وأمن أسرى، وأمن غذائى، وهذا ما أكده رسول الله ﷺ .

وكما سوف نشير فإن ميثاق حقوق الإنسان الذى أرساه الرسول ﷺ فى خطبة الوداع، والذى تضمن حقوق الناس وحرياتهم وكرامتهم والعدل بينهم وتحقيق المساواة بينهم؛ هو أول تاريخ ميلاد حقيقى لحقوق الإنسان، وهذا الميثاق قد طبق فعلاً، وهذا الميثاق حقق أهدافه كاملة فى تحقيق الأمن والسلام بين كل أبناء المجتمع، على عكس الميثاق العالمى لحقوق الإنسان الذى أقرته الأمم المتحدة فى ديسمبر عام ١٩٤٨م؛ فهذا الميثاق لم يطبق وأخفق فى تحقيق أهدافه، والدليل على هذا ما نشاهده من قتل وإرهاب وترويع وانعدام للأمن فى أغلب دول العالم.

والسلام فى الإسلام لا يقتصر على المسلمين أو المؤمنين فقط وإنما أصبح مبدأ لكل الناس دون تمييز، مسلمًا أو غير مسلم، فالإسلام أقر الأخوة الإنسانية فكلنا لآدم وآدم من تراب، وهناك الأخوة الإيمانية: **(إنما المؤمنون إخوة)** فحق المسلم وغير المسلم متساوٍ فى الأمن المادى على نفسه وأسرته وأمنه النفسى، وحقه فى العيش الكريم وفى المسكن الملائم وفى حد الكفاية الاقتصادية، وفى العدل والتعليم والصحة .... إلخ، كلها متساوية، قال تعالى: ﴿ **مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ**

(١) صحيح مسلم.

(٢) رواه أحمد .

(٣) سنن ابن ماجة.

ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ أي: كل بنى آدم دون استثناء.

التعايش السلمى بين البشر :

التعدد سنة من سنن الله فى خلقه، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾[2]، وطالما أن هذا التعدد إرادة الله فلابد من العيش فى سلام وفى أمن، فحتى فى ميدان الحرب والقتال قرر الإسلام أنه إذا ألقى العدو السلام وجب الكف عن الحرب، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[3].

والسلام فى الإسلام لا يقتصر على الإنسان ولكن يشمل الحيوان والنباتات والجمادات أيضًا، والسلام فى الإسلام غير السلام فى الفكر الوضعى من حيث الفلسفة؛ فالإسلام ينطلق من احترام الإنسان ومن الأخلاق والقيم العليا، أما السلام فى المواثيق الدولية والفكر الوضعى فينطلق من مصالح مادية، وفى الكثير من الحالات يكون مدخلاً للاستبداد والظلم والرأسمالية المتوحشة.

(١) المائدة ٣٢.

(٢) هود:١١٨، ١١٩.

(٣) النساء:٩٤.

الحضارة الإسلامية حضارة البناء والعمارة

إن العطاء الحضارى الذى قدمه الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقًا وحضارة، إلى الإنسانية كلها شرقًا وغربًا، هو الذى أخرجها من الظلمات إلى النور، ومن عبادة الدنيا والمادة والعباد إلى عبادة رب الأرباب رب الأرض والسموات، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة .

لقد أقام الإسلام صرحًا حضاريًّا شامخًا فى كل المجالات ينطلق من عقيدة التوحيد النقية الخالصة لله رب العالمين، وقد كانت هذه العقيدة هى أول ميثاق فى التاريخ الإنسانى وتاريخ المجتمعات لتحرير الإنسان، مسلمًا كان أو غير مسلم، امرأة أو رجلاً، دون أى تمييز على أساس الدين، أو العرق، أو اللون، أو اللغة أو الطبقة، أو الطائفة .... إلخ .

أقام الإسلام حضارة منضبطة بضوابط الوحى الذى هو هدى السماء إلى الأرض، حضارة تعلى إلى أقصى درجة من قيمة الإنسان، وقيمة العقل، وقيمة العلم، وقيمة الإبداع العلمى، وقيمة التنمية وعمارة الأرض، وتجعل من العلم وإعمال العقل وعمارة الأرض فريضة دينية، كل هذا فى إطار منظومة من القيم التى تحفظ للإنسان كرامته وحقوقه، وتحفظ للشعوب حقوقها واستقلالها وكرامتها، منظومة من القيم التى تتضمن إفشاء السلام ونشر الحق وتطبيق العدالة والإخاء والمساواة، منظومة من القيم التى تضمن لكل إنسان حقه فى أن يعيش آمنًا مطمئنًا، ونقصد بالأمن هنا كل أنواع الأمن المادى، والأمن الاقتصادى، والأمن السياسى، والأمن الاجتماعى والأسرى، والأمن الديني، والأمن الفكري، والأمن النفسى والمعنوى .... إلخ، وقد لخص القرآن الكريم رسالة الإسلام فى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [1] .

وإذا كانت الحضارة الإسلامية قد أعلت من قيمة وقدرات وفعاليات العقل الإنسانى المطالب شرعًا بالوصول إلى سنن الله فى الكون والمجتمعات والتاريخ والإنسان، للانتفاع بها، ولزيادة الطاقة الإيمانية عند المسلمين والمؤمنين، وللتمكن من توظيف المسخرات الكونية التى خلقها الله وسخرها للإنسان، يقول تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾[2]، فإن العقل الإنسانى والحواس الإنسانية كمصادر للمعرفة إنما هى منضبطة بضوابط الوحي، ومنضبطة بمنظومة من القيم

(١) الأنبياء: ١٠٧.

(٢) البقرة: ٢٩.

والثوابت، فعلاقة العقل بالنقل فى الإسلام علاقة تفاعلية تبادلية، فنحن نفهم النقل بالعقل، ونضبط العقل بالنقل.

ومنظومة القيم والثوابت فى الإسلام وظيفتها إطلاق النهضة و التقدم المادى والاقتصادى والاجتماعى والتكنولوجى والسياسى الشامل، مع الحفاظ على إعمال مبادئ الرحمة والعدل للمجتمع، والابتعاد عن كل ما يؤدى إلى الانحراف أو الظلم أو الفساد، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (١).

والعطاءات الحضارية للإسلام شملت كل مجالات الحياة، ومجالات المجتمع، ومجالات العلم، ومجالات الكون، فقد أرسى الإسلام دعائم أول حضارة وأول مجتمع فى التاريخ لا يؤسس على أساس عنصرى وإنما على دعائم إيمانية أخلاقية تساوى بين كل البشر دون أى تمييز، أول مجتمع تعددى؛ لأن اختلاف البشر فى الدين، وفى اللون، وفى الجنس، وفى اللسان ....إلخ سنة من سنن الله فى كونه، أول مجتمع يؤسس على عقد اجتماعى واقعى، ويحكمه دستور يحدد حقوق الناس وحرياتهم، وحقوق الحاكم والمحكومين وواجباتهم.

وقد أهدت حضارة الإسلام المنطلقة من الكتاب والسنة للإنسان لأول مرة ما نعرفه الآن بحقوق الإنسان وحرياته وكرامته، هذه الحقوق والحريات والكرامة، ليست منحة من حاكم أو من دولة، ولم يتوصل إليها الناس نتيجة كفاحهم ونضالهم، وإنما هى منحة من الخالق لكل الخلق، مضمونة بوحدة الخالق، ووحدة الأصل البشري، وتكريم الله الخالق لكل الناس وليس لفئة معينة، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (٢).

كل هذا يعنى أن الإسلام هو تاريخ الميلاد الحقيقى لكل ما يعده الغرب إفرازًا للعقل الغربى بعد عصر النهضة ويفاخر به العالم كله، فالإسلام هو تاريخ الميلاد الحقيقى لحقوق الإنسان وحرياته وكرامته، وهو تاريخ الميلاد لتحرير المرأة و الرجل، تاريخ ميلاد حقوق الطفل، وتاريخ إرساء أول دولة فى التاريخ تقوم على أسس دستورية، دولة تلغى فيها كل أشكال التمييز بين البشر

(١) الإسراء:٩.

(٢) الإسراء:٧٠.

على أساس اللون أو العرق أو النسب أو الطائفة، أو الغنى والفقر، كانت دولة الرسول ﷺ هى أول دولة يؤسس فيها مبدأ انفصال الدولة عن شخصية الحاكم، وهذا هو الشرط الذى يضعه فقهاء القانون الدستورى والعلوم السياسية لنشأة الدولة الحديثة، هذا المبدأ أرسى فى حياة الرسولﷺ وطبق تطبيقًا كاملاً فى عصر الصحابة وبعض العصور التالية.

إن الحضارة الإسلامية هى تاريخ الميلاد الحقيقى للديمقراطية الراشدة والمنضبطة بوحى السماء وهداية الله لخلقه، وهذه هى الشورى فى المصطلح الإسلامى، والحضارة الإسلامية هى تاريخ الميلاد الصحيح والمنضبط لمفاهيم التعايش السلمي، والمواطنة، والتسامح، والوسطية، والاعتدال ... إلخ.

وقد أكدت حضارة الإسلام بشكل قاطع على رفض كل صور الغلو والتطرف والإرهاب والعنف غير المبرر وغير المشروع، فالإسلام دين السلام و الأمن لكل المواطنين داخل الدولة، ولكل الناس على مستوى العالم.

الحضارة الإسلامية أطلقت إبداع العلماء والمفكرين وأهدت العالم منظومات من العلوم الجديدة، سواء فى مجال العلوم الإسلامية، أو العلوم الكونية، أو الرياضية، أو الاجتماعية والإنسانية، أو مجال الفكر الفلسفي، وما هو أهم من هذا أن العقل المسلم هو الذى أبدع خطوات المنهج العلمى التجريبى الذى كان أساس إبداعات العلماء المسلمين فى مجالات علوم الكون كالفيزياء، والكيمياء، والفلك، والبصريات، والجغرافيا ...إلخ، وكان هو منطلق الإبداع فى مجال إنشاء علوم جديدة فى مجالات الاجتماع والتاريخ والإنسان، وتحقيق الروايات التاريخية (منهجية البحث التاريخي)، وقد أبدع العقل الإسلامى فى مجال الاقتصاد والقيم الاقتصادية استنادًا إلى الحقائق القرآنية الثابتة فى هذا الصدد، وقد كانت هذه العطاءات الإسلامية الأساس لانطلاق عصر النهضة فى أوروبا والغرب بشكل عام.

لقد قدمت الحضارة الإسلامية المستندة إلى الوحى عطاءات جوهرية فى مجال إرساء مؤسسة الأسرة، وبيان أركانها وشروط قيامها، وضوابطها، ووظائفها، وحقوق وواجبات أعضائها، وقد أحاط الإسلام هذه المؤسسة بكل ضمانات السلامة والنظافة والحماية والاستقرار والشرعية، وحتى بالنسبة لما يعتريها من أزمات فقد أوضح الإسلام أساليب إدارة الأزمات والمشكلات الأسرية بمنهجية ربانية لا يمكن أن تصل إليها أية منهجية بشرية .

كذلك فقد كان عطاء الحضارة الإسلامية المنضبطة بهدى السماء واضحًا وجليًّا ومكثفًا فى مجال الاقتصاد فكرًا و سلوكًا، وفى مجال التربية وبناء الإنسان المؤمن بربه، والذى يؤدى واجبات

الاستخلاف فى عمارة الروح والنفس والأسرة والمجتمع والدولة والإنسانية كلها، وقد كان الإسلام سباقًا إلى معالجة قضايا الصحة النفسية، وربطها بالتربية وحسن الخلق.

وقد كان للإسلام عطاؤه الذى لا يصل إليه عطاء وضعى فى مجال وضع ضوابط أخلاقية فى مجال الحروب والنزاعات المسلحة، وقد حرص الإسلام بشكل لا تصل إليه أية اتفاقية وضعية محلية أو إقليمية أو دولية، على حماية غير المقاتلين من المدنيين، سواء أكانوا من الشيوخ أم النساء أم الأطفال أم العُبَّاد، وسواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين، بل إن أول آية شرع فيها القتال، أوضحت بجلاء أن الإذن بالقتال إنما شرع دفاعًا عن الدولة، وعن الدعوة، ولنصرة المظلومين، وتحرير الناس، والدفاع عن حرية الأديان جميعًا، وعن أمن الذين يمارسون العبادات المختلفة، والذين يدينون بأديان مختلفة، قال تعالى: ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ** ﴾[1]، والبيع والصلوات والصوامع كلها أماكن لعبادة غير المسلمين، يحميها الإسلام حماية كاملة، حتى أثناء النزاعات المسلحة.

ومن أبرز عطاءات الحضارة الإسلامية أنها ربطت كل الأنشطة والنظم والمنظمات والمؤسسات والعلاقات داخل المجتمع الواحد، وبين المجتمعات والدول، ربطت هذا كله بالمبادئ والضوابط الأخلاقية، على العكس تمامًا من كل الحضارات السابقة على الإسلام، وكذلك الحضارات اللاحقة والمعاصرة اليوم؛ فهذه الحضارات تعلى من قيم الفردية، والمادية، والنفعية، والبراجماتية، غير المنضبطة، وتفصل تماما بين الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية وبين القيم الأخلاقية، وتعلى من قيم الاستمتاع الحسى عند الإنسان دون أى ضوابط دينية، وهذا ما أدى إلى ظهور بل وتشريع أنواع مختلفة من الانحراف كالجنسية المثلية و البغاء .. إلخ .

إن حضارة الإسلام كان لها عطاؤها المتميز فى مجالات عديدة، مثل: مجالات تحرير الإنسان، ومجال الأسرة، والاقتصاد، والسياسة، والتربية، والحفاظ على توازن ونقاء البيئة، ومجال التنمية الشاملة، وبناء أقصى قدر ممكن من القوة فى كل مجالات الحياة والمجتمع، اعتبارًا من القوة

(١) الحج: ٣٩ــ ٤٠.

الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والتكنولوجية والأسرية والفكرية ...إلخ وحتى قوة الشخصية التى تفرزها التربية الإسلامية، لكن كل هذه الأنواع من القوة إنما تنبثق أساسًا من القوة الإيمانية والقيمة الأخلاقية، والمسئول عن بناء هذه القوة الأخيرة كل مؤسسات التنشئة الاجتماعية داخل المجتمع المسلم، وهنا يجب أن تتكامل هذه المؤسسات، اعتبارًا من الأسرة، إلى العائلة، إلى المسجد، والمدرسة، والإعلام، والنوادي، ومجتمع الجيرة، والمجتمع المحلي، ومختلف المؤسسات الحكومية وغير الحكومية داخل المجتمع العام ... إلخ.

وإذا ما حاولنا إيجاز معطيات حضارة الإسلام للإنسانية ولكل المجتمعات والدول والمؤسسات، بل للفرد منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا، قلنا: إن الإسلام اهتم بالعمارة والبناء بالمفهوم الواسع، بناء الإنسان، وبناء الجماعة، وبناء الأسرة الصالحة، وبناء الاقتصاد، وبناء السياسة، وبناء القوة، وبناء العلاقات الشرعية النظيفة الطاهرة بين الرجل والمرأة، وبناء القيم العليا ومكارم الأخلاق التى تحكم فكر وسلوك وعلاقات الناس، وتحكم العلاقات بين الدول، وتحكم كل نظم ومؤسسات المجتمع، ولا شك أن هذا كله يمكن فهمه واستنباطه من مصادر الشريعة الأساسية: القرآن والسنة، ومن أقوال الفقهاء والمفسرين وعلماء القرآن والسنة، يقول تعالى: ﴿ **وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ** ﴾[1] وقد بين القرآن الكريم والسنة النبوية أنواعًا كثيرة من العمارة المطلوبة، ونستطيع إيجازها فيما يلى :

أولاً : عمارة الإنسان؛ بالتربية وغرس العقيدة والقيم ومكارم الأخلاق.

ثانيًا : عمارة الروح؛ بربطها بخالقها من خلال العقيدة والعبادات وتطبيق أحكام الشريعة فى النيات والأفكار، والسلوك، والعلاقات....إلخ، ومن خلال التقوى ومراقبة الله فى السر والعلن.

ثالثًا : عمارة النفس؛ بتزكية النفس اللوامة، وقمع النفس الأمارة بالسوء، وتنقية النفس من كل الآثام والشرور، كالحقد، والحسد، والغيبة، والنميمة، وعدم حب الخير للآخرين، والأنانية، والأثرة ..إلخ.

رابعًا : عمارة العقل؛ بالمعرفة، والعلم، والتعليم.. إلخ، لكل ما ينفع الإنسان وأسرته ومجتمعه والناس جميعًا وقد كانت أول آية نزلت فى الذكر الحكيم هى ﴿ **ٱقْرَأْ** ﴾ .

---

(١) هود:٦١.

خامسًا : عمارة الجسد؛ بالصحة، والنظافة، والاعتدال، وإعطاء كل ذى حق حقه، وبالرياضة المقبولة، والبعد عن كل ما يؤذى الجسد من محرمات كالخمر، والمخدرات، والإسراف فى كل الأمور من أكل، وشرب، وسهر، وهذا يعنى تطبيق منهج الوسطية المنضبطة بأحكام الشرع.

سادسًا : عمارة الأسرة؛ بتطبيق معايير وأحكام الإسلام فى الاختيار وبناء الأسرة وفى وظائفها، وأداء مهام أعضائها، سواء فى مجال حفظ حقوق كل عضو أو فى مجال حسن إعداد وتربية الأبناء، أو فى مجال العشرة بالمعروف وتحقيق السكن والمودة والرحمة لأعضائها .

سابعًا : عمارة المجتمع؛ بتطبيق منهج الله فى الشورى، وحق الناس فى الحرية والتمتع بحقوق الإنسان وحفظ كرامته المضمونة من الخالق، وعدم التمييز بين الناس على أى أساس غير التقوى والعمل الصالح، وتحقيق الخير والمصالح المشروعة، فعمارة المجتمع إنما تكون بإعمال فريضة التنمية، وإعمال العقل، والوصول إلى سنن الله فى الكون والمجتمع والتاريخ والإنسان..إلخ.

وهذا يعنى تفعيل فريضة طلب العلم، وذلك لبناء القوة الشاملة فى المجتمع المسلم، هكذا تكون عمارة المجتمع فى الحضارة الإسلامية بتطبيق قيم النهضة والرحمة والعدالة بالمعايير الإسلامية.

ثامنًا : عمارة المجتمع الدولي؛ وهذا يكون من خلال إعلاء وإفشاء قيم الأمن والسلام والتعايش السلمى التى أوجبها القرآن الكريم، وجاءت واضحة وصريحة فى أحاديث الرسول ﷺ، عند تأسيسه لأول دولة إسلامية فى المدينة، حيث كان أول ما قال: «**يا أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**» [1] .

والسلام هو الأصل فى العلاقات الدولية، أما الحرب فهى حالة طارئة يتم اللجوء إليها عند الضرورة كما أنها ليست أصلاً من أصول الدين، وقد حرص الإسلام – متمثلاً فى القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية وما فعله النبى ﷺ والصحابة – على إرساء ثقافة التعايش السلمى داخل المجتمعات، وبين الدول، فلا عدوان إلا على الظالمين، ولم تشرع الحرب فى الإسلام إلا للدفاع عن الدولة، أو عن الدعوة، أو عن المستضعفين؛ للقضاء على الفتنة، وقد سبق الإسلام كل القوانين الدولية والإنسانية المعاصرة فيما يتصل بتحقيق الأمن والسلام، وعدم نقض العهود، وإعمال المعاهدات التى تحفظ حقوق الدول والمجتمعات.

---

(١) رواه الترمذى ، وابن ماجه، والدارمى ، مشكاة المصابيح ١٦٨/١.

تاسعًا :عمارة الدنيا؛ بتطبيق أمر الله فى عمارة الأرض من خلال الإيمان بأركانه الستة، والإسلام بأركانه الخمسة، ومن خلال عمارة الأرض بالزراعة والصناعة والتجارة والخدمات، ومن خلال الاستمتاع بالطيبات التى أحلها الله، قال تعالى:﴿ **يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ** ﴾(١)، فالعمارة فى المصطلح الإسلامي، هى التنمية الشاملة المنضبطة بالقيم الأخلاقية .

عاشرًا : عمارة الآخرة؛ الدنيا مزرعة الآخرة والدنيا دار اختبار وابتلاء وبناء للآخرة، وتتمثل عمارة الآخرة فى قوله تعالى: ﴿ **وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ** ﴾(٢)، كما تتمثل فى آخر آية نزلت فى القرآن الكريم وهى قوله تعالى: ﴿ **وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ** ﴾ (٣).

الإسلام بين الوسطية ومواجهة التطرف :

إذا كان الإسلام هو أول من أسس ثقافة السلام والأمن لكل البشر، وأول من أرسى حضارة العمارة والعلم وعمارة الأرض وتحسين مستوى العيش ونوعية الحياة لكل البشر، حضارة العدل والمساواة والمواطنة وحقوق وحريات وكرامة الناس جميعًا مسلمين وغير مسلمين، حضارة الرحمة للعالمين، فإنه ينبذ كل أشكال التطرف والعنف، ويؤكد على الوسطية وعدم الغلو حتى فى الدين والعبادة، وهذا ما أكده القرآن الكريم والسنة المطهرة وسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين من بعده، فالإسلام ينبذ ثقافة العنف والعسر، قال الله تعالى لرسوله الكريم: ﴿ **فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ**

(١) الأعراف: ٣١ .

(٢) القصص:٧٧.

(٣) البقرة:٢٨١.

﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾[3]، وقال عليه الصلاة والسلام: **«فسددوا و قاربوا و أبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»** [4]، وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **يسروا ولا تعسروا و بشروا ولا تنفروا**» [5].

إن الإسلام دين الرفق، قال عليه الصلاة والسلام: **«إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»** [6] .

فالإسلام ينبذ ويرفض كل أنواع المشقة على الناس، قال عليه الصلاة و السلام: **« اللهم من ولى من أمر أمتى شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولى من أمر أمتى شيئًا فرفق بهم فارفق به»** [7]، والإسلام دين اليسر ويرفض العنف، قال عليه الصلاة والسلام: **« يسروا ولا تعسروا و بشروا ولا تنفروا»**[8].

الإسلام دين السماحة واليسر لكل الناس مسلمين وغير مسلمين، حتى فى حالات الحرب؛ فإن الرسول عليه الصلاة والسلام قد أوصى أن يحافظوا على كل من لا يحارب من نساء أو أطفال أو كبار سن أو حتى الشباب غير المحارب، وعليهم الحفاظ على الثروات والأشجار والأنعام، كل هذا يعنى أن ثقافة الإسلام هى ثقافة الأمن والسلام فى كل المستويات، ثقافة العمارة والبناء والإنتاج، وثقافة حقوق وحريات وكرامة الإنسان.

هذا هو واجب العلماء أن يوضحوه و ينشروه، وألا يسمح بالفتوى إلا للعلماء الثقات، حتى يعلم القاصى والدانى حقائق الإسلام الصحيح الذى هو الدين الذى ارتضاه الله لكل عباده، وجاء به كل الأنبياء والمرسلين من آدم وحتى محمد عليهم جميعا صلوات الله وسلامه.

---

(١) آل عمران: ١٥٩.
(٢) البقرة: ٢٨٦.
(٣) البقرة:٢٥٦.
(٤) رواه البخارى .
(٥) رواه البخارى ومسلم .
(٦) رواه مسلم .
(٧) رواه مسلم.
(٨) رواه البخارى ومسلم.

أساليب مواجهة التطرف والإرهاب :

التطرف يتصل بالفكر والاعتقاد وتبنى مجموعة من المبادئ والقيم المنحرفة، ويحدث ذلك نتيجة لاختطاف الفكر وتغييب العقل السليم الذى يحدثه الانتماء لمجموعة منحرفة لا علاقة لها بالعقل السليم أو الدين الإسلامى الصحيح، والذين يستخدمون الدين بعقائده وأحكامه وقيمه استخدامًا مغلوطًا للوصول إلى أهداف سياسية أو سلطوية أو غيرها، دون النظر إلى صحيح الدين الإسلامى الذى تعد الوسطية والاعتدال والتسامح والرفق والعدل والمساواة وحقوق الإنسان والمعيشة الطيبة للجميع والسلام والتنمية أو عمارة الأرض والرحمة ... إلخ هى أبرز خصائصه، إن هذا الفكر المتطرف إذا استمر كفكر فقط ولم ينقلب إلى سلوك إجرامى يجب مواجهته من خلال العلماء القادرين على تفنيد الآراء المزيفة وعرض حقائق الإسلام الصحيح من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة، مثل: الأسرة والحضانات والمدارس والجامعات والكتب الدينية المستنيرة ودور العبادة والإعلام بمختلف صوره، هذا إلى جانب المواجهة الأمنية لكل الجماعات المنحرفة التى تستقطب الأطفال والشباب وتزيف وعيهم الدينى .

كما أن هؤلاء العلماء يؤكدون أن مواجهة التطرف لا تقتصر على مواجهته فقط بالحوار والفكر، وإنما أيضًا بمواجهة العوامل التى قد تؤدى إليه، وفى مقدمتها الأمية الدينية، أما الإرهاب فإنه يتصل بالعمل والقيام بسلوك إجرامى يروح ضحيته أبرياء ويستهدف التخريب وإسقاط الدولة وهذا لا مواجهة له إلا بالتدابير والمواجهات الأمنية الحاسمة ، والقانون الرادع .